

ضحايا صلاح الدين في عيد المسلمين

قصة قرأتها في بعض كتب التاريخ عن بطولات صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - فأحببت أن أسجلها للقارئ وهي تعرض لأسلوب الصليبيين في إيذاء المسلمين وكيف واجهه صلاح الدين الأيوبي بأسلوب قاطع له.

تعرض العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري لموجة قوية من الغزو الأوروبي النصراني عرفت بالحملة الصليبية، كان هدفها الاستيلاء على بيت المقدس وبلاد الشام وطرد المسلمين منها

والامتداد في البلاد الإسلامية الأخرى وقد استولى الصليبيون بالفعل على بيت المقدس، وقتلوا جميع من فيه من المسلمين دون التفريق بين أحد منهم فقتلوا الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والشباب، دون وازع يمنعهم عن ذلك، ورفعوا الصليب فوق قبة المسجد الأقصى ودنسوه بالخنازير عن عمد بغرض إهانة المسلمين، وسيطروا على منطقة كبيرة من بلاد الشام وحاولوا الامتداد إلى الحجاز، حيث أقاموا مستعمرة صليبية في منطقة الكرك - في الأردن حالياً - وحاولوا الامتداد منها إلى مهد الإسلام الجزيرة العربية عموماً وفي منطقة الحجاز خصوصاً، ووصلوا بالفعل إلى منطقة دومة الجندل شمال الجزيرة العربية، فكان صلاح الدين الأيوبي لهم بالمرصاد حيث قاد بعض الحملات العسكرية ضدهم حتى أجلاهم عن دومة الجندل.

وقد فكر الصليبيون في سنة ٧٥٨هـ بالوصول إلى المدينة المنورة عن طريق البحر الأحمر (بحر القلزم)، كما كان يسمى في تلك الفترة بسفن حربية ولكن المسلمين تمكنوا من الاستيلاء عليها، وطهروه من الغزاة المعتدين وأفسدوا عليهم مخططهم، وسيطروا على منافذ البحر الأحمر الشمالية.

فأعد الفرنجة مجموعة مفككة من السفن حملوها على الجمال وأنزلوها ووجهوها في البحر الأحمر، وأخذت تجوب البحر

الأحمر وتقطع الطريق على سفن المسلمين التجارية فيه وحينما اقترب موسم الحج أخذت تعترض بعض السفن التي تحمل الحجاج وتغرقها بمن فيها، بعد قتل بعضهم وسلبهم فأخافوا الحجاج المتوجهين بحرًا إلى الحجاز وأوقعوا الرعب في قلوبهم.

وقد أعاظ ذلك صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله -، فتحرك لمواجهةهم وبعث لهم بعض السفن الإسلامية التي أخذت تطاردهم وتضيق عليهم وتمنعهم من إيذاء المسلمين ودارت بينها وبين سفن الصليبيين معارك انتهت بهروب من في سفن الصليبيين إلى الساحل الإفريقي، نواحي عيذاب - من الأراضي السودانية حاليًا - فلحق بهم المسلمون برًا وأسروهم وأمر صلاح الدين ببعضهم أن يساقوا في موسم الحج إلى مكة وينحروا مع الهدي الذي يقدمه المسلمون في منى في موسم الحج، وبالفعل قدم أولئك المجرمون القتلة هدايا مع الأضاحي فكان هذا تأديبًا لكل ممن تسول له نفسه من الصليبيين إيذاء الحجاج أو الوصول إلى الحجاز،^(٨٢) وهذا جزاء من يقتل ويغرق الحجاج في البحر لا لشيء إلا للحقد والكراهة، رحم

(١) انظر: مفرج الكروب، لابن واصل، ج ٢، ص ١٢٨. الكامل، لابن الأثير، ج ١١، ص ٤٩٠. الروضين في أخبار الدولتين، لأبي شامة، ج ٢٩، ص ٣٧. البداية والنهاية، لابن كثير، ج ١، ص ٢١١.

اللّٰه صلاح الدين الأيوبي، رحمة واسعة، وتقبل هديته، فنعم ما
قدم.

